Al-Turath Al-Adabi

ISSN (P): 3005-7426, ISSN (E): 3005-7434

Vol: 02, Issue: 01 (Jan-June 2024)

https://alturath.numl.edu.pk/index.php/alturath

DOI: https://doi.org/10.52015/al-turathal-adabi.v2i01.23

Received: May 05, 2024 | Accepted: June 15, 2024 | Available Online: June 30, 2024

التراكيب النحوية في شعر عبدالله بن المبارك: دراسة نحوية

Grammatical structures in the poetry of Abdullah bin Al-Mubarak: A Grammatical Study

الدكتور علي غانم سعد الله حسين الذنون

الأستاذ المساعد

قسم اللغة العربية ،كلية الأداب بجامعة الموصل، العراق

Dr. Ali Ghanim Saadallah Al-Thanoon

Assistant Professor

Department of Arabic, Faculty of Arts, University of Mosul, Iraq

Abstract:

This research comprehends an artistic analysis focusing on the poetic compositions of Abdullah bin Al-Mubarak. This article consists of two main sections and a valuable conclusion. The 1st section discusses the biography of great scholar Abdullah bin Al-Mubarak, while the 2nd section explores the grammatical structures found in his poetry. The conclusion summarizes the most significant findings and outcomes of the research. There is no doubt that Abdullah bin Al-Mubarak was a notable poet and scholar during the early Islamic era. He distinguished himself with an elegant and straightforward style in his poetry. His verses were characterized by eloquence, clarity, and a deep religious resonance.

Al-Turath Al-Adabi, Department of Arabic, NUML, Islamabad, **This work is** licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0).

Abdullah bin Al-Mubarak's poetic skill was evident in his ability to craft verses that conveyed profound ideas with simplicity and sincerity. His poetry often delved into themes of asceticism, piety, death, and the afterlife. It is also noted during the research on this important topic that great scholar Abdullah bin Al-Mubarak's poetry was a significant because asceticism was prevalent in second-century AH poetry and was closely intertwined with the lives and societal norms of people from all walks of life. Asceticism served as a poetic motif through which various aspects of Arab life during ancient history can be discerned and understood.

Keywords: Ascetic poetry, Abdullah bin Al-Mubarak, Islamic literature, grammatical structures

الملخص :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف المرسلين وعلى اله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

إن عبد الله بن المبارك كان شاعراً وعالماً من العصر الإسلامي المبكر، وكان شاعرًا يتميز بأسلوبه الراقي والبسيط، حيث تجمع قصائده بين البيان والوضوح والعمق الديني، وتميزت قصائده بالبيان والصراحة، والبساطة، ويعكس مهارته الشعرية في تشكيل الأبيات والأفكار، وكانت قصائده تتناول مواضيع الزهد والتقوى والموت، والآخرة.

وفي المقال الموجز أقدم دراسة فنية من ناحية التراكيب النحوية في شعر عبدالله بن المبارك، وقد قسمت المقال إلى محورين والخاتمة. فالمحور الأول حول حياة عبدالله بن المبارك، وأما المحور الثاني فجاء الحديث فيه عن التراكيب النحوية في شعر عبدالله ابن المبارك وأختتم المقال بالخاتمة وفيها أهم نتائج البحث.

والمنهج المتبع في هذا المقال هو المنهج التحليلي والوصفي، وأقدم بعض النماذج من شعر عبدالله بن المبارك حسب موضوعات النحوية.

الكلمات المفتاحية: التراكيب النحوية، عبدالله بن المبارك، شعر عبدالله بن المبارك، الأدب الإسلامي

المحور الأول: حياة عبدالله بن المبارك

اسمه وكنيته ونسبه: هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح المروزي[١]، وهو مولى من بني حنظلة. ويبدو أن اسمه المروزي يعود إلى مدينة مرو الشاهجان في خراسان، وهي مدينة شهيرة حيث وُلد فيها ابن المبارك. وهذه النسبة غير مؤكدة بالضبط ولكنها مقترنة بالمدينة التي وُلد فيها، وتُستخدم أحيانًا كتسمية للثوب على غير القياس[٢] .

تاريخ ولادته: ولد ابن المبارك في مدينة مرو وأشار صاحب طبقات الكبرى إلى اختلاف العلماء بين تاريخ ولادته فيقال إنه ولد سنة ١١٠، ١١٨هـ ، و ١١٩، ١٢٩هـ.[٣].

نشأته: "ولد ابن المبارك بمدينة (مرو) وكانت أقامته بداية نشأته فيها. وعلى الرغم من تنقلاته العديدة، فإننا نراه يعود إليها بعد ذلك[٤]. وقد قضى فيها نحواً من عشرين سنة بين والديه، وكان أول نشأته يتردد على الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة، ثم العلوم الأخرى وكان أبوه يحثه على ذلك، فقد روي أنه كان يعطيه درهما على كل قصيدة يحفظها"[٥].

عبادته: ابن المبارك اشتهر بتفانيه الخاص في العبادة لله، ومن الأقوال المشهورة التي نُسبت إليه في هذا الصدد، ما يُقال إنه قال ابن المبارك: "أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يطعموا أطيب ما فيها، قيل له: وما أطيب ما فيها، قال المعرفة بالله ﷻ"[٦].

وقد روي عنه في عبادته في قيام الليل والصلاة، وكان كذلك في الصوم والزكاة، فقد كان يؤدي زكاة أمواله بأضعاف مضاعفة.

زهده: عرف ابن المبارك بالزهد، وقد وصفه الذهبي بـ (قدوة الزاهدين)[٧].وقد أثرت عنه أقوال كثيرة تدل على علو مقامه في هذا المجال:

فمن أقوال ابن المبارك في الزهد "الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر"[٨]، وقوله أيضاً "الزهد أن تزهد بالدنيا بقلبك"[٩] .

وقوله "الزاهد الذي إذا أصاب الدنيا لم يفرح وإذا فاتته لم يحزن"[١٠]. وكان مما اشتهر به ابن المبارك الورع وخشية من الله، وله في هذا المجال أقوال كثيرة:

فمن أقواله في المجاهدة والرباط: "إن الصالحين في ما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفوا، وأن أنفسنا لا تكاد تواتينا الأعلى كره، فينبغي لنا أن نكرهها"(١١).

ومن أقواله كذلك في مجال الزهد:- "الذي يهيج الخوف حتى يبكي القلب، دوام المراقبة في السر والعلانية"(١٢).

تواضعه: عرف ابن المبارك بهذه الصفة في كثير من الروايات، والظاهر أن تأثره بالنبي محمد ﷺ وأصحابه كان له الأثر البالغ في اتصافه بهذه المزية.

فقد قال له شخص يوما أوصني، فقال إعرف قدرك(١٣).

وفي رواية جميلة عن عبدة بن سليمان قال: "كنا مع ابن المبارك في أرض الروم فبينما نحن نسير ذات ليلة، والسماء من فوقنا والبلة من تحتنا قال ابن المبارك: يا أبا محمد أفنينا أيامنا في الظهار والإيلاء عن مثل هذه الليالي، فلما أصبحنا، نزلنا على عيني ماء، فجعل الناس يتبادرون ويسقون دوابهم، فقدم ابن المبارك دابته، فضرب رجل من أول الشعر وجه دابة ابن المبارك، وقدم دابته: فقال يا أبا محمد، المنافسة في مثل هذا الموضع، ليس في الوضع الذي إذا راون قالوا: وسعوا لأبي عبد الرحمن – ارتفع يا أبا عبد الرحمن)(١٤).

وفاة ابن المبارك: كانت أبرز النقول في تاريخ وفاته تؤكد على أنه توفي ١٨١ من هجرة النبي ﷺ (١٥).

حياته العلمية: كان ابن المبارك شغوفا بالعلم والعلماء، فقد اتفقت جميع المصادر على انه كان من نوادر طلاب العلم المخلصين في طلبهم. وقد كان ابن المبارك مضحيا في سبيل العلم بالمال. مهما بلغ ذلك المال ويؤكد ذلك ما حدث به الصدفي عنه قائلا "لما بلغ ابن المبارك دفع إليه أبوه خمسين ألف درهم يتجر بها، فطلب العلم حتى افقدها، فلما انصرف لقبه أبوه، فقال: ما جلبت به من أرباح التجارة، فاخرج إليه الدفاتر، فقال: هذه تجارتي، فدخل أبوه المنزل فاخرج له ثلاثين ألفا أخرى وقال: هذه تمم بها تجارتك فأنفقها"(١٦).

رحلات ابن المبارك في طلب العلم: ارتحل ابن المبارك إلى أكثر من بلد، فرحل إلى الشام ومصر والحجاز(١٧).

وأما رحلته إلى العراق فقد ذكرها الخطيب في تاريخه حيث قال (قدم بغداد غيرَ مرة وحدث بها)(١٨). ورحل إلى الجزيرة أيضا(١٩).

مكانته بين أهل العلم: عد ابن المبارك من خيرة علماء الأمة الإسلامية، ووصفه كثير من العلماء بأنه صاحب دين وعلم غزير ووفير، فقد وصفه أبو اسحق الفرازي بأنه (إمام المسلمين أجمعين)(٢٠)

فمنزلة ابن المبارك كبيرة بين العلماء لأنه كان عابدا زاهدا شيخا شجاعا شاعرا، وقد جمع ابن المبارك العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والفصاحة والزهد والورع والإنصات وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والفروسية، والشدة في بدنه وترك الكلام فيما لا يعنيه(٢١) .

وقد مدح العلماء ابن المبارك بشعرهم فهذا عمار بن الحسن يقول:

إذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها

إذا ذكر الأحبار في كل بلدةٍ فهم انجم فيها وأنت هلالها (٢٢)

أهم مصنفات ابن المبارك المطبوعة:

ومن أهم مصنفاته "الزهد والرقائق" الذي طبع من مجلس أحياء المعارف عام ١٩٦٦، ويحتوى على ٢٠٥٥ حديثا.

والكتاب الثاني بعنوان كتاب الجهاد طبع من دار المطبوعات الحديثة، وقام الدكتور نزيه حماد بتحقيقه وتقديمه ونشره من دار المطبوعات الحديثة، وعدد صفحات الكتاب ٢٥٦ صفحة.

وأما ديوانه: اشتهر بديوان عبد الله بن المبارك هو مجموعته الشعرية التي جمعها وحققها الدكتور مجاهد مصطفى بهجت. قام الدكتور مجاهد بتحرير الديوان في طبعتين، الأولى في عام ١٩٨٧م والثانية في عام ١٩٨٩م. يمكن القول إن الطبعة الثانية تمتاز باتساع محتواها

ودقة تحقيقها، ورغم عدم توفر الطبعة الأولى للمقارنة مباشرة، إلا أن الدكتور مجاهد أشار في مقدمة الطبعة الثانية إلى تحسين كبير في نوعية العمل بفضل زيادة المحتوى والتحقيق المتقن.

نُشرت الطبعة الثانية من الديوان عن طريق دار الوفاء للطباعة والنشر في المنصورة، مصر، ويتألف من ١٣٥ صفحة، يحتوي على ٣٤٦ بيتاً شعرياً. منهج الدكتور مجاهد مصطفى في تحقيق الطبعة الثانية شمل جمع النصوص الشعرية لابن المبارك وترتيبها ترتيباً هجائياً بناءً على المنهج العلمي المتبع في تتبع القوافي باستخدام حروف المعجم، بدءاً من الروي الساكن إلى الروي المفتوح، والمضموم والمكسور. وقد تم ترقيم كل نص بشكل مسلسل لتمييزه وتحديده، بالإضافة إلى ترقيم كل بيت من القصيدة أو القطعة، مما يسهل فهم المعاني وضبط النص بدقة ووضوح.

شاعرية عبدالله بن المبارك :

شاعرية ابن المبارك كانت لا تقل أهمية عن تعدد ثقافته. فقد ورث في نشأته الأولى الحب للشعر، حيث ذكر عن والده المبارك أنه كان يشجعه على حفظ الأشعار ويكافئه عندما كان صغيراً. وديوانه الذي كان ضئيلاً بالنسبة لحجم شعره يحمل أهمية كبيرة، إذ أنه يعبر عن روح إسلامية نقية(٢٣) .

المحور الثاني: التراكيب النحوية

نحن الآن بصدد الخصائص الفنية في شعر ابن المبارك، ونرى إن أول ما يطالعنا هو التراكيب النحوية، فلقد اعتنى ابن المبارك بلغته عناية تامة بوصفها وسيلة لتوصيل أهدافه من خلال شعره.

وبالتأكيد أن اللغة تلعب دوراً بارزاً في عالم الشعر كأداة أساسية للأديب ومصدر لإبداعه، حيث تُمنح الأعمال الأدبية شكلاً مميزًا وتساهم في تعبيرها(٢٤).

وقدرة الشاعر تكمن في قدرته على استخدام اللغة بشكل يجمع بين معارفه المتعمقة والواعية، وذلك من خلال بناء هيكلية القصيدة وتركيبها اللغوي، الذي يعكس تجسيداً متقناً للأفكار والمشاعر.

اللغة الشعرية هي الوسيلة التي يتمكن من خلالها الشاعر من التعبير عن أفكاره ومشاعره وخياله بطريقة فنية وجمالية. تتكون هذه اللغة من عناصر متعددة مثل الكلمات والصور والخيال والعواطف والإيقاع، كلها تتعاون معاً لإنشاء تجربة شعرية غنية ومتميزة. (٢٥)

وإن اختلاف لغة الشعر عن الكلام العادي هو الذي يعطي لهذه اللغة طابعا مميزا لها.

فلغة الشعر تمتاز بتجاوز المفردات، وترتيب الكلمات وانتقائها، مما يجعل لهذا التشكيل طابعا مميزا عن الكلام العادي(٢٦).

ولا بد أن يكون هناك عامل تدّخل ليحدث هذه الفجوة بين لغة الشعر والكلام العادي، إذ يمكن أن يعبر عن هذا العامل بأنه هو اللغة نفسها.

إذ أن وصف الإطار التركيبي للجملة العربية قد انطوى على أثر واضح للمنطق العقلي السائد في المباحث النحوية. فلما كانت الجملة مركبا فإن تحليل هذا المركب سيفضي وفق التطور المنطقي إلى جزئياته(٢٧).

ولا نقول أن كل الشعراء سلكوا هذا المسلك لأن هناك حقيقة ثابتة تتصل باللغة الشعرية. إذ أن لكل غرض شعري ميزته التي تميزه عن غيره بلغته وأسلوب تعبيره ومفرداته ومصطلحاته، وعموما يكاد سجل الشاعر الذي يحتفظ بأسلوبه الخاص ويحدد طريقته في الأداء والتعبير وبانتقاء المفردات ورسم الصور يختلف عن غيره من الشعراء(٢٨).

ومن خلال الديوان نرى كيف تعامل ابن المبارك مع اللغة ومدى ما أظهره من جمال اللفظ ورقة العبارة فقد زخرت أشعار ابن المبارك الدينية بأساليب اللغة العربية العديدة.

وليس عجيبا أن يعمل ابن المبارك على توظيف أكثر من أسلوب نحوي في شعره، لما هو واجب لمثل موضوعه في الزهد والأخلاق والمعاني الإسلامية.

ونحن بدورنا سنأخذ أهم الأساليب النحوية التي جاءت في شعر ابن المبارك، فمن هذه الأساليب:

التوكيد:

والتوكيد أو التأكيد أحد التوابع وهو تكرار اللفظ، والقصد منه ترسيخ الأمر في ذهن السامع وإزالة الشك وتوضيح المقصود. وفي التوكيد متبوع (مؤَكد) وتابع (مؤِّكد) وهو: التوكيد نفسه فإذا كان التوكيد بألفاظ معينة فهو توكيد معنوي، وإذا كان بإعادة لفظ المؤكد فهو توكيد لفظي"(٢٩).

وعموما إذا أتينا إلى الأشعار التي قالها ابن المبارك وحملت معنى التوكيد نجدها كثيرة، فهذا بيت جميل يأتي فيه التوكيد واضحا، يعمل ابن المبارك من خلاله على عطاء صورة عن الورع في حديثه عن اثار الماضين وما املاه عليه من الدمع قائلا :

تذكرت أيام من قد مضى فهاج لي الدمع سحاً هتونا (٣٠)

إذ يكمن معنى التوكيد في الأداة (قد) التي تفيد التوكيد، فدخول قد على الفعل المضارع أعطى لها هذه الخصوصية في إفادة التوكيد(٣١).

فالحرف (قد) عندما يحذف من الكلام يستقيم الكلام كذلك ولكن بدخول هذا الحرف يعمل الشاعر فيه على توكيد كلامه.

وفي موضع آخر من المواضع التي جاء التوكيد عند شاعرنا نرى أن التوكيد لفظي إذ يقول:

إني لأمنحهم بغضي علانية ولست اكتمهم في الصدر كتمانا (٣٢)

هذا الموضع من التوكيد اللفظي يتحدث فيه ابن المبارك عن الذين يغالون في الدين ويتخذونه ستاراً لأغراضهم ونزواتهم الخاصة وهو لا يخفي البغض لهؤلاء بل يظهره علانية.

ويأتي التوكيد في أبيات أخرى متضمناً مختلف طرائق التوكيد ودالا على قيمة اللغة التي استخدمها ابن المبارك في شعره.

إذ أن طبيعة الكلام من طبيعة الناظم، فنجد الصلابة في شاعر والرقة عند آخر، كما نجد توعراً عند أحدهم وسهولة لفظ آخر، فسلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع(٣٣).

ونرى ابن المبارك في موضع آخر من مواضع التوكيد، نراه يأتي بتوكيد جميل ينهى به عن معصية الله عز وجل إذ يقول:

فحتى متى تعصي الإله إلى متى تبـــــارز ربـــــي إنـــــه لـــــرحيم(٣٤)

فهذا بيت ضم أكثر من توكيد، إذ نجد فيه التوكيد اللفظي من خلال تكرار متى لمرتين في الصدر، كما نجد (أن) الحرف المشبه بالفعل قد أفاد التوكيد في اقتران خبر أن بلام التوكيد(٣٥)، فهو يؤكد عموما على رحمة الله الواسعة تجاه العباد، وينهى عن معصية الله الرحيم.

والظواهر اللغوية في الشعر تتضامن لتعمل على إيصال مراد الشاعر.

إذ تعد الظاهرة الشعرية لغوية في جوهرها ولا سبيل إلى التأتي إليها إلا من جهة اللغة التي تتمثل فيها عبقرية الإنسان وتقوم بها ماهية الشعر(٣٦).

فمتى كان تركيز الشاعر على لغته في مختلف جوانبها من رونق اللفظ وجماله استطاع وتمكن من السيطرة على فكرته وعلى مضمونه، والواضح أن ما رأيناه من لغة ابن المبارك ينطبق على هذه الحالة، فهو ذو لغة ميسورة وغير معقدة مع احتوائها على تراكيب وأساليب عديدة.

ولعل ذلك يعود إلى صدق ابن المبارك في شعره الزهدي الذي ساعده في التمكن من اللغة بهذا الشكل الرائع، إذ أن طبيعة الموضوع تفرض على الشعراء أن يسلكوا اللغة التي تنسجم وذلك الموضوع.

ولا يخفى ما للغة ابن المبارك من ملامح لغوية عديدة يمكن أن نتتبعها من خلال الأساليب اللغوية التي سنأتي على ذكرها.

ولعل أول ما يطالعنا من هذه الملامح هو أن الشاعر استخدم ألفاظه في مكانها المناسب.

فاستعمال اللفظة المناسبة في المكان المناسب لها هو المهمة الأساسية للشاعر، وبنجاحه أو إخفاقه في هذا يحدد مقدار أصالته (٣٧).

ونتابع أسلوب التوكيد الذي جاء في شعر ابن المبارك ونقع على بيت حمل توكيدا متضمنا معنى وقيمة الصبر وفضله إذ يقول:

إن في الصبر لفضلا بينا فاحمل النفس عليه تصطبر[٣٨]

فقيمة هذا التوكيد يأتي من خلال ورود لام التوكيد في قوله (لفضلا بينا) وكان ممكناً أن يقول الشاعر (فضلا بينا) ولكن أراد أن يؤكد قيمة هذا الفضل فأتى بلام التوكيد.

وفي بيت آخر نعثر على توكيد آخر يصف فيه الشاعر مظهر القبور التي آل إليها القوم إذ يقول:

قد تصفحت قبور الـ ـقوم في يوم العشير[٣٩]

والواضح أن التوكيد هنا جاء بالحرف (قد) التي أفادت التوكيد من خلال دخولها على الفعل الماضي[٤٠]. إذ إن ((دخول (قد) على الفعل الماضي يقربه من زمن الحال))[٤١].

فابن المبارك يصف حاله في ذلك اليوم الذي اطلع فيه على قبور القوم.

والذي بحثنا عنه في هذه الصفحات كان في أسلوب التوكيد، وباستقصاء التوكيد نحاول أن نبحث في أسلوب نحوي آخر جاء في شعر ابن المبارك.

الاستثناء:

حظى الاستثناء بشعر ابن المبارك بنصيب وافر، حيث استخدمه ببراعة في شعره. ويُعرف الاستثناء في الشعر بأنه عملية تستثني فيها شيئًا معينًا من السياق العام للبيت الشعري، حيث يُذكر هذا الشيء مرة في العبارة الأولى ومرة أخرى في سياق مفصل أو تفصيلي ليبرز جمال العبارة ويعزز من تألق البيت الشعري. [٤٢]

وأن للاستثناء اوجهاً يأتي عليها "والاستثناء على وجهين أحدهما أن يكون الكلام محمولا على ما كان عليه قبل دخول الاستثناء نحو قولك (ما جاءني إلا زيد)"، والأوجه الأخرى أن يكون الفعل أو غيره من العوامل مشغولا، ثم تأتى بالمستثنى بعد، فإذا كان كذلك فالنصب واقع على كل مستثنى نحو قولك (جاءني القوم إلا زيداً))[٤٣].

وللمستثنى دور كبير في الاستثناء، فالمستثنى هو المخرج بإلا أو إحدى أخواتها شرط الإفادة فإن كان بعضا فمتصل وإلا فمنقطع يقدر بـ (لكن)(٤٤).

ويزخر شعر ابن المبارك بالاستثناء ومختلف أدواته وحروفه، فهو يذكر بيتا حوى الاستثناء الناقص في عفة المرأة المسلمة إذ يقول:

ما تستطيع وما لها من حيلة إلا التستر من أخيها باليد(٤٥)

فنوع الاستثناء هنا مفرغ إذ الكلام مسبوق بنفي ومتبوع بأداة الاستثناء (إلا).

وفي موضع آخر في الموضع نفسه يأتي الكلام ناقصا، إذ يذكر ابن المبارك فضل أهل العلم وجهدهم قائلا:

ما لذتي إلا رواية مسند قد قيدت بفصاحة الألفاظ(٤٦)

فهذان البيتان شملا الإستثناء المفرغ (الناقص) "وإن النفي في الكلام الناقص – أعني الاستثناء المفرغ – يتوجه إلى مقدر هو مستثنى منه عام مناسب للمستثنى في جنسه وصفته، إما توجهه إلى مقدر هو مستثنى منه فلكون إلا للإخراج، واستدعاء الإخراج مخرجا منه"(٤٧).

ويفيض شعر ابن المبارك بالتراكيب اللغوية التي لها وقع رصين في ذهن السامع، ويبدو أن مجيء هذه التراكيب كان تصميم ابن المبارك على مدته في حياته الزهدية لا بل ومن أجل القيم الدينية التي كان يدعو إليها.

ولا عجب أن تمتلئ لغة الزهد بهذه المعاني القيمة والتراكيب النحوية المتمكنة ما لهذه اللغة من موضوع مهم في حياة الناس. ولا سيما أن لغة الشعر تصنع منطقها الخاص بها وتخلق وجودا متميزا لها(٤٨).

ولا نقول إن ابن المبارك تكلف ليبلغ هذا المستوى في التركيب النحوي بل على العكس أتت لغته على وفق طبعه ومائلة إليه، لأنه صادق في شعوره تجاه قضيته.

والشاعر وما لهذه الكلمة من معنى لا يجد الإحراج في التوصل إلى اللغة التي تخص موضوعه، في جعل هذه اللغة عالية الأسلوب.

إن الشاعر لا يتكلف القول في ألفاظه وتراكيبه اللغوية، وإنما يجعلها تنطلق، لا يلفها غموض أو تقعر، وفق سجيته، وما يميله عليه انفعاله (٤٩).

ونمضي مع ابن المبارك في أسلوب الاستثناء وما لهذا الأسلوب من أهمية. إذ لا نجد هذا الأسلوب إلا مع النبرة العالية، والنغمة الحامة، والتعبير الشديد(٥٠).

وفي بيت آخر يتضمن الاستثناء يقول ابن المبارك:

لا ينفع الإنسان في قبره إلا التقـــــى والعمـــــل الصـــــالح

ولا ينال الفوز من دهره إلا فتى ميزانه راجح(٥١)

وابن المبارك لم يقتصر في أسلوب الاستثناء على الأداة (إلا) فقط بل تعداها إلى مختلف أدوات الاستثناء، فقد جاءت (غير) وهي أداة من أدوات الاستثناء إذ يقول:

كل عيش قد أراه نكداً غـير ركـن الـرمح في ظـل الفـرس"(٥٢)

ونرى موقع الاستثناء جاء بأداة (غير) وكان ممكنا لابن المبارك أن يأتي بدلا من الأداة (غير) بالأداة (إلا).

"اعلم أن كل موضع جاز أن نستثنى فيه بـ (إلا) جاز الاستثناء فيه (بغير) و (غير) اسم يقع على خلاف الذي يضاف إليه، ويدخله معنى الاستثناء بمضارعة إلا"(٥٣).

كما أن كل موضع جاء فيه الاستثناء بالا جاز بغير لأنه اسم بمنزلته وفيه معنى إلا(٥٤).

وهكذا رأينا ابن المبارك يتناول مختلف أدوات الاستثناء وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تمكنه من اللغة، ولم يأت ابن المبارك بهذه الأنواع من الاستثناء اعتباطا.

"إن تحديد نوع الإستثناء يعني تصورا معينا للفكرة في التركيب فلا بد أن يكون بعد مراجعة المعنى والتعرف الذكي إلى مغزاه، هو في الحقيقة تحليل للمعنى وتعرف على حواشيه"(٥٥).

المبتدأ والخبر:

من خلال بحثنا في الديوان وجدنا شاعرنا قد تناول المبتدأ والخبر في تراكيبه النحوية.

"والمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام، والمبتدأ والمبني عليه رفع. فالابتداء لا يكون إلا بمعنى عليه، فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه هو مسند ومسند إليه"(٥٦).

أما الخبر فهو "إعلام، تقول أخبرته أخيبره، والخبر هو العلم"(٥٧).

وينقسم المبتدأ والخبر على أقسام في مواضعهما في الكلام فأما المبتدأ فهو: "قسمان قسم له خبر وقسم له فاعل أو نائب عنه يغني عن الخبر وهو الوصف، وإن كان اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة"(٥٨).

وأما الخبر "فهو ثلاثة أقسام مفرد وجملة وشبهها وهو الظرف والجار والمجرور"(٥٩).

وسنرى تقلب المبتدأ والخبر في شعر ابن المبارك، فابن المبارك متمكن من لغته بمختلف أساليبها، فهو لم يأت إلى أسلوب لغوي إلا أدى حقه، ووظفه لخدمة غرضه الأساس في الزهد والتقوى وإعلاء كلمة الله.

فمن بين أبياته التي جاءت حاملة أسلوب المبتدأ والخبر ما قاله في الحث على الصبر والالتزام به:

غاية الصبر لذيذ طعمها ورديء الـــذوق منـــه كالصـــبر(٦٠)

فقوله (غاية الصبر) مبتدأ مضاف و (لذيذ طعمها) فلذيذ مبتدأ وطعمها فاعل سد مسد الخبر.

ونرى مدى جمال الأسلوب النحوي في التعبير، فابن المبارك في هذا البيت يراوح المبتدأ والخبر ويعمل على تلوين الجملة لتصل بالغاية إلى مرساها الأخير.

وأيضا لابن المبارك بيت آخر في المبتدأ والخبر يصف فيه حكم السلاطين بأنه على السجلات والأملاك وما شابه ذلك قائلاً:

هم السلاطين إلا أن حكمهم علـــى الســـجلات والأمـــلاك والـــدور(٦١)

فقوله (هم السلاطين) مبتدأ وخبر وإن كان المبتدأ هنا مضمر بـ (هم)، الذي عبر به عن جمع الذكور الغائبين(٦٢).

وإيراد ابن المبارك لهذه الأساليب النحوية يؤكد على مدى تمكنه من اللغة وسعة أفقه علما واستعمالا والأمثلة التي أوردناها تمثل جانبا من تلك الأساليب التي لا حصر لها.

وفي محاولة موفقة لابن المبارك للإخبار عن حال الناس في يوم القيامة يقول:

والنار ضاحية لا بد موردهم ولـيس يـدرون مـن ينجـو ومـن يقـع"(٦٣)

فقوله (النار ضاحية) مبتدأ وخبر، إذ أخبر عما سيؤول إليه أمر الناس مستمدا علمه وأخباره من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وبيت آخر يأتي فيه المبتدأ والخبر، فابن المبارك يخبر بأن الطير والأنعام أصبحت آمنة، قائلاً:

قد أمست الطير والأنعام آمنة والنـون في البحـر لم يخشـى لهـا فـزع(٦٤)

فنرى أن موقع المبتدأ والخبر هنا هو في قوله (والنون في البحر) فالنون مبتدأ وخبره (لم يخشى له فزع).

وفي موضع آخر يأتي فيه المبتدأ والخبر يقول ابن المبارك وهو ما وجد مكتوبا على قبره:

الموت بحر طافح موجه يـذهب فيـه حبلـه السـابح(٦٥)

فقوله (الموت بحر) مبتدأ وخبر، والظاهر أن هذا الإخبار يحمل سمة التشبيه البليغ الذي يؤكد أن كل إنسان لابد أن يخوض بحر الموت.

ويبدو أن ابن المبارك حريص في إظهار ملامح التراكيب النحوية في أبياته لما تتضمنه أبياته من قيم إسلامية ومعانٍ دينية عالية.

ونستمر مع ابن المبارك في المبتدأ والخبر، فهو في أحد الأبيات يخبر عن قيمة العلم وفضله في الدنيا للناس عامة إذ يقول:

العلم زين للرجال مروءةٌ والعلـم انفـع مـن كنـوز الجـوهر(٦٦)

فقوله (العلم زين) مبتدأ وخبر، ولا بد أن يكون ابن المبارك قد ركز على فضل العلم وقيمته وما له من خير للدين والدنيا.

وقوله (العلم زينٌ للرجال مروءةٌ) أيضا مبتدأ وله خبران مفردان.

ولابن المبارك بيت جميل يأتي فيه المبتدأ الذي يكون خبره جملة فعلية في قوله:

أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنـــا يـــوم الصـــبيحة تتعـــب(٦٧)

فقوله (فخيولنا يوم الصبيحة تتعب) مبتدأ وخبره جملة فعلية، وهذا بيت يؤكد فيه على قيمة الجهاد في سبيل الله.

"إن الجملة الفعلية تفيد التجدد والاسمية تفيد الثبوت، أي أنها من شان الجملة الفعلية أن تدل على التجدد ومن شان الجملة الاسمية أن تدل على الثبوت"(٦٨).

ومن ناحية ثانية فقد يعود استخدام الجمل الاسمية والفعلية إلى الحالة النفسية التي تصدر عن معان معينة، والرغبة في التركيز على جانب معين يكون له الصدارة في إثارة الانتباه(٦٩).

ونبقى الآن مع تركيب نحوي جاء في شعر ابن المبارك ألا وهو التقديم والتأخير.

والتقديم والتأخير باب كثير الفوائد جم المحاسن، وهو على وجهين الأول أن يقال على نية التأخير وذلك في كل شيء أقدرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدا، وتقديم لا على نية التأخير ولكن ان تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعله بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه(٧٠).

وقد جاء أسلوب التقديم والتأخير عند ابن المبارك عامرا ففي أحد الأبيات يوجه كلامه إلى أحد الناس قائلا له:

كم لعمري صرعت قبـ ـــــلك أصـــــحاب القصـــــور(٧١)

المعلوم في (كم) هنا أنها إخبارية تفيد التكثير، وعندما نأتي إلى إعرابها نجدها تعرب على أنها مبتدأ(٧٢).

إذا فالتقديم جاء في (كم) الخبرية المقدمة على فعلها أي أن المفعول به قد على فعله في هذا البيت.وهي من الكلمات التي لها الصدارة في الكلام فهي تأتي مقدمة في كلام العرب.

وهذا من جهة تقديم المفعول به على فعله، أما من جهة تقديم الخبر على المبتدأ فقد جاء بيت يحمل في تركيبه أسلوب التقديم والتأخير من جهة تقديم الخبر على المبتدأ إذ يقول ابن المبارك:

إن في الصبر لفضلا بينا فاحمل النفس عليه تصطبر(٧٣)

فقد قدم الخبر على المبتدأ في هذا البيت. وتقدير الكلام (إن الفضل في الصبر).

وهكذا رأينا مدى تمكن ابن المبارك من لغته في مختلف أساليبها، فقد جاء شعره سهل المأخذ مع متانة في الأسلوب النحوي حسب الغرض الذي أراده.

ولا ينبغي ان نفهم معنى السهولة على أنها ركاكة تعبيرية أو ضعف لغوي، وكذلك لا ينبغي ان نفهم معنى الوضوح على انه ابتذال في المعاني والصيغ، لان السهولة والوضوح هنا مبعثهما الطبع لا التكلف(٧٤).

وكلام ابن البارك ولفظه ذو تأثير مباشر في النفس لما في موضوعه من جدية. فابن المبارك "متأثر بالتقنين اللفظي الذي يهم الفقهاء، والاقتصاد باللفظ في التعبير المباشر"(٧٥).

وعموما فقد جاءت التراكيب النحوية للغة ابن المبارك متينة وسهلة ممتنعة، ولعلها مستوحاة من قيم الإسلام ومعتقداته السمحة، فهي العامل الرئيسي الأول في التأثير في كل جوانب شعر ابن المبارك.

الخاتمة

وفي نهاية المقال وصلنا إلى أهم النتائج التي وهي كالتالي:

- ابن المبارك لم يُبالغ في استخدام لغته العذبة والمتقنة التي وصلت إلى مستوى راقٍ؛ بل على العكس، كانت لغته تعبر بصدق وعفوية عن الأفكار التي عرضها. كان شاعراً يؤمن بقضاياه ويعتقدها بقلبه، مما جعل شعره يتمتع بمصداقية عميقة واستجابة صادقة لمشاعره واعتقاداته.

- جاءت الصور المفردة والمركبة في شعر ابن المبارك التابعة للبلاغة العربية التي عبر بها ابن المبارك عن قيمه ومبادئه.
- مال ابن المبارك إلى استخدام البحور الطويلة في شعره.
- استخدم ابن المبارك في إطار الإيقاع الداخلي التكرار والتقسيم بوصفها وسائل لايصال الغرض من شعره، وقد وجدنا هذه الاساليب تعطي لشعر ابن المبارك الدلالة الفنية من ناحية الموسيقى الداخلية.

الحواشي والمراجع

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، مطبعة السعادة – مصر ، ١٩١٣م، ج:١٠، ص:١٥٢.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، دار ابن كثير. بيروت، ج:١٠، ص:١٧٧.

(٣) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط:١، ج:٨-٧، ص: ٣٧٢.

(٤) صفوة الصفوة، ابن الجوزي. مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند. ١٩٦٨م، ج:٤، ص:١٣٥.

(٥) تهذيب التهذيب، للعسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الهند. ١٣٢٦هـ، ج:١١، ص:٢٩٤.

(٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: الأصفهاني ط:٢. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٩٦٧م ، ج:٨، ص:٦٦٧

(٧) تذكرة الحفاظ، لشمس الدين محمد ابن أحمد الذهبي ط:٧، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ، ج:١، ص:٢٧٤.

(٨) حلية الأولياء، ج:٨، ص:١٦٦.

(٩) الجامع لأحكام القران، القرطبي، دار الكتاب العربي القاهرة، ١٩٦٧م، ج:١٠، ص:٣٥٥.

(١٠) ترتيب المدارك، القاضي عياض، تحقيق : الدكتور أحمد بكير محمود، بيروت، مكتبة الحياة، ج:١، ص: ٣٠٢.

(١١) صفوة الصفوة، ج:٤، ص:١٥٤.

(١٢) الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، مطبعة محمد علي، مصر، ١٣٦٧هـ، ص:٦١.

(١٣) كتاب الجرح والتعديل، ص: ٢٥٧.

(١٤) المرجع نفسه، وينظر تهذيب التهذيب، ج: ٦، ص:٤٦٠.

(١٥) ينظر تاريخ بغداد، ج:١٠، ص:١٦٨، وصفوة الصفوة، ج:٤، ص:١٢٧.

(١٦) ترتيب المدارك، ج:١، ص:٣٠١.

(١٧) تاريخ دمشق، ج :٦، ص: ٢٤٩.

(١٨) تاريخ بغداد، ج:١٠، ص: ١٥٣

(١٩) سير إعلام النبلاء، ج:٨، ص:٣٨١.

(٢٠) تاريخ بغداد، ج:١٠، ص:١٦٣.

(٢١) تهذيب التهذيب، ج:٥، ص:٣٨٥.

(٢٢) تاريخ بغداد، ج:١٠، ص:١٦٣.

(٢٣) تهذيب التهذيب، ج:١١، ص:٢٩٤.

(٢٤) النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته: أحمد كمال زكي، ص:٧٩.

(٢٥) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر: عبد الحميد جيدة، ص:٣٣٨.

(٢٦) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة: صالح أبو اصبع، ص:٣٦.

(٢٧) في التركيب اللغوي: مالك يوسف المطلبي، ص:٣١.

(٢٨) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري: ص: ٢٣٧.

(٢٩) معجم المصطلحات: أحمد مطلوب، ص:٣٧٢.

(٣٠) الديوان، ص: ٦٢.

(٣١) الجني الداني في حروف المعاني: المرادي، ص:٢٥٩.

(٣٢) الديوان، ص:٦٥.

(٣٣) جرس الألفاظ: ماهر مهدي هلال، ص:١٨٨.

(٣٤) الديوان، ص:٦٠.

(٣٥) الجني الداني: ص:٤٠٢.

(٣٦) التركيب اللغوي للأدب: لطفي عبد البديع، ص:٣.

(٣٧) في الرؤيا الشعرية المعاصرة: أحمد نصيف الجنابي، ص:٩١.

(٣٨) الديوان، ص: ٤٧.

(٣٩) المصدر نفسه، ص:٥٠.

(٤٠) الجني الداني: ص:٢٥٨.

(٤١) من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ص:١٧١.

(٤٢) الصاحبي، ابن فارس، ص:١٣٤.

(٤٣) المقتضب: المبرد، ص:٣٨٩.

(٤٤) همع الهوامع: جلال الدين السيوطي، ص:٢٢٢.

(٤٥) الديوان، ص: ٤٦.

(٤٦) المصدر نفسه، ص:٥٢.

(٤٧) الإيضاح للقزويني، ج:١، ص:٢٢٤.

(٤٨) دراسة في لغة الشعر، ص:٥.

(٤٩) شعر عبد القادر رشيد الناصري: عبد الكريم راضي جعفر، ص:٥٩.

(٥٠) دلالات التراكيب: محمد أبو موسى، ص:١٠٠.

(٥١) الديوان، ص:٦٧.

(٥٢) المصدر نفسه، ص:٥١.

(٥٣) المقتضب، ص:٤٢٩.

(٥٤) كتاب سيبويه، ج:٢، ص:٣٣٢.

(٥٥) دلالات التراكيب، ج:٤٧٠.

(٥٦) كتاب سيبويه، ج:٢، ص:١٢٦.

(٥٧) الصاحبي، ابن فارس: ص:١٩٧.

(٥٨) همع الهوامع، ج:١، ص:١٩٤.

(٥٩) همع الهوامع، ج:١، ص:٩٥.

(٦٠) الديوان، ص: ٤٧.

(٦١) الديوان، ص: ٥١.

(٦٢) الجنى الداني، ص: ٣٤٥.

(٦٣) الديوان، ص: ٥٥.

(٦٤) المصدر نفسه، ص:٥٥.

(٦٥) المصدر نفسه، ص: ٧٦.

(٦٦) الديوان، ص:٨١.

(٦٧) المصدر نفسه، ص:٤٢.

(٦٨) الإيضاح، ج:١، ص:١٩١.

(٦٩) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، ص:٣٠٥.

(٧٠) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ج:١، ص:٦٢.

(٧١) الديوان، ص:٥٠.

(٧٢) الجنى الداني، ص:٢٦١.

(٧٣) الديوان، ص: ٤٧.

(٧٤) من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، عثمان موافي، ص:١١٦.

(٧٥) دراسة فنية في شعر الإمام الشافعي، حكمت صالح، ص:٢٤٦.

References in Roman Script

1. Tarikh Baghdad, al-Khatib al-Baghdadi, Matba'at al-Sa'adah – Misr, 1913 AD, Vol. 10, P: 152.
2. Al-Bidaya wal-Nihaya, Ibn Kathir, Dar Ibn Kathir, Beirut, Vol: 10, P: 177.

3. Al-Tabaqat al-Kubra, Muhammad bin Sa'd al-Baghdadi, published by Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, T: 1, Vol: 7, P: 372.
4. Safwat al-Safwa, Ibn al-Jawzi, Matba'at Dairat al-Ma'arif al-Othmaniya, India, 1968 AD, Vol. 4, P: 135.
5. Tahdhib al-Tahdhib, al-Asqalani, Matba'at Majlis Dairat al-Ma'arif, India, 1326 AH, Vol. 11, P: 294.
6. Hilyat al-Awliya' wa Tabaqat al-Asfiya', al-Isfahani, 2nd edition, Dar al-Kutub al-Arabi, Beirut, 1967 AD, Vol. 8, p. 667.
7. Tadhkirat al-Huffaz, Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad al-Dhahabi, 7th edition, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, 1374 AH, Vol. 1, P: 274.
8. Hilyat al-Awliya', Vol. 8, P: 166.
9. Al-Jami' li Ahkam al-Qur'an, al-Qurtubi, Dar al-Kutub al-Arabi, Cairo, 1967 AD, Vol. 10, P: 355.
10. Tartīb al-Madarik, al-Qadi 'Iyad, edited by Dr. Ahmad Bakir Mahmoud, Beirut, Maktabat al-Hayat, Vol. 1, P: 302.
11. Safwat al-Safwa, Vol. 4, P: 154.
12. Al-Risalah al-Qushayriyyah, Abu al-Qasim 'Abdul al-Karim bin Hawazin al-Qushayri, Matba'ah Muhammad 'Ali, Egypt, 1367 AH, P: 61.
13. Kitab al-Jarh WA al-Ta'dil, P: 257.
14. Ibid, Wa Yunzr Tahdhib al-Tahdhib, Vol: 6 P: 460.
15. Yunzr Tarikh Baghdad, Vol: 10, P: 168, WA-Safwat al-Safwat, Vol: 4, P: 127.
16. Tartīb al-Mudarik, Vol:1, P:301.
17. Tarikh Damascus, Vol: 6, P: 249.
18. Tarikh Baghdad, Vol: 10, P: 153.
19. Sirat I'laam al-Nubala', Vol: 8, P: 381.
20. Tarikh Baghdad, Vol: 10, P: 163.
21. Tahdhib al-Tahdhib, Vol: 5, P: 385.
22. Tarikh Baghdad, Vol: 10, P: 163.
23. Tahdhib al-Tahdhib, Vol: 11, P: 294.
24. Al-Naqd al-Adabi al-Hadith: Usuluh WA Ittejahatuh, Ahmad Kamal Zaki, P: 79.
25. Al-Ittijahat al-Jadidah fi al-Shi'r al-Arabi al-Muasir: Abdul Hamid Jideh, P: 338.
26. Al-Harakah al-Shi'riyyah fi Filastin al-Muhtalah: Saleh Abu Asbah, P:36
27. Fi al-Tarkib al-Lughawi: Malik Yusuf al-Matlubi, P: 31.
28. Al-Ittijahat al-Hijaa' fi al-Qarn al-Thalith al-Hijri, P: 237.
29. Mu'jam al-Mustalahat: Ahmad Matlubi, P: 372.
30. Al-Diwan, P: 62.
31. Al-Janni al-Dani fi Huruf al-Ma'ani: al-Muradi, P: 259.

32. Al-Diwan, P: 65.
33. Jaras al-Alfadh: Maher Mahdi Hilal, P: 188.
34. Al-Diwan, P: 60.
35. Al-Jann al-Dani, P: 402.
36. Al-Tarkib al-Lughawi li al-Adab: Lutifi Abdul Badi', P: 3.
37. Fi al-Ru'ya al-Shi'riyyah al-Mu'asirah: Ahmad Nasif al-Janabi, P: 91.
38. Al-Diwan, P: 47.
39. Ibid, P: 50
40. Al-Janni al-Dani, P: 258.
41. Min Asrar al-Lughah: Ibrahim Anis, P: 171.
42. Al-Sahibi: Ibn Faris, P: 134.
43. Al-Muqtadab: al-Mubarrad, P: 389.
44. Hama' al-Hawami': Jalal al-Din al-Suyuti, P: 222.
45. Al-Diwan, P: 46.
46. Ibid, P: 52.
47. Al-I'adhah li al-Qazvaini, Vol: 1, P: 224.
48. Dirasah fi Lughah al-Shi'r, P: 5.
49. Shi'r Abdul al-Qadir Rashid al-Nasiri: Abdul al-Karim Radi Ja'far, P: 59.
50. Dalalat al-Tarkib: Muhammad Abu Musa, P: 100.
51. Al-Diwan, P: 67.
52. Ibid, P: 51.
53. Ibid, P: 429.
54. Kitab Sibawaih, Vol: 2, P: 332.
55. Dalalat al-Tarkib, P: 470.
56. Kitab Sibawaih, Vol: 2, P: 126.
57. Al-Sahibi, Ibn Faris, P: 197.
58. Hama' al-Hawami', Vol: 1, P: 194.
59. Ibid, Vol: 1, P: 95.
60. Al-Diwan, P: 47.
61. Ibid, P: 51.
62. Al-Janni al-Dani, P: 345.
63. Al-Diwan, P: 55.
64. Ibid, P: 55.
65. Ibid, P: 76.
66. Al-Diwan, P: 81.
67. Ibid, P: 42.
68. Al-I'adhah, Vol: 1, P: 191.
69. Al-Harakah al-Shi'riyyah fi Filastin al-Muhtalah, P: 305.
70. Dala'il al-I'jaz, Abdul al-Qahir al-Jurjani, Vol: 1, P: 62.

71. Al-Diwan, P: 50.
72. Al-Janni al-Dani, P: 261.
73. Al-Diwan, P: 47.
74. Min Qadaya al-Shi'r WA al-Nathr fi al-Naqd al-Arabi al-Qadim, Othman Mawafi, P: 116.
75. Dirasah Fanniyyah fi Shi'r al-Imam al-Shafi'i: Hikmat Saleh, P: 246.